﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠﴾ [العنكبوت: 50]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

المطالبة بإنزال آيات كآيات موسى وعيسى عليهما السلام

لَمّا ذكر الجاحِدين للآية العظيمة الّتي هي القرآن ثلاث مرات، ووصفهم بالكافرين، والمبطلين، والظّالمين؛ انتقل الكلام هنا إلى مقالتهم النّاشئة عن جحودهم، وذلك أنّهم طلبوا أن يأتي النَّبيُّ ﷺ لهم بآيات مرئيّة خارقة للعادة تدلُّ على أنَّ الله خلقها تصديقًا للرّسول كما خلق ناقة صالح وعصا موسى[1]، فقالوا: إنّك تقول: إنّه أُنزل إليك كتابٌ كما أنزل إلى موسى وعيسى، وليس كذلك؛ لأنّ موسى أوتي تسعَ آيات، عُلِمَ بها كونُ الكتاب من عند الله وأنت ما أوتيتَ شيئًا منها[2]، فأنكروا إنزال القرآن الكريم؛ وفيه من عظيم الآيات البيّنات ما يجعل كل عاقل يُسَلِّم به ويؤمن بصدقه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَذِيرٞ﴾: (نذر) كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَخْوِيفٍ أوْ تَخَوُّفٍ، مِنْهُ الْإِنْذارُ: الْإِبْلاغُ، ولا يَكادُ يَكونُ إلّا في التَّخْويفِ، وتَناذَروا: خَوَّفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا[3]، والإنذار: إعلامٌ، وابلاغٌ بتخويف، يُقال: أنْذَرْتُ القومَ مَسيرَ عدوّهم إلَيْهِم فنَذِروا، أي: أعْلَمتُهم ذَلِك فنَذِروا، وتَحَرَّزوا[4]، والمنذِر: المعلِّم والمحذِّر والمخوِّف الّذي يُعَرِّفُ القومَ بما يكون قد دهَمَهم، من عدوّ، أو مكروه سيقع به معلَّقًا أو غير

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 13.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 65.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: 5/ 414.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجَوهَريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عُمدَةُ الحُفّاظ: (نذر).

معلَّق، وبهذا المعنى جاء سائر ما وقع من التّركيب في القرآن بصيغ كثيرة[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

من جلافة المنكرين وتغييب عقولهم مطالبتُهم بالآيات المُشَاهَدَة

بعد أن بدأ القرآن الكريم بالتّنزّل على رسول الله؛ علموا أنّه من عند الله، وما هو بقول مخلوق قطعًا؛ فقال كفّار مكّة: لولا أُنزِل على محمّد آيةٌ من ربِّه كما كانت الأنبياء يجيء بها إلى قومهم، وقُرِئَ آياتٌ على الجمع، ثُمَّ إنَّ الله تعالى أرشد نبيَّه إلى أجوبة هذه الشُّبهة منها قوله: ليبيّن لهم أنّ الله تعالى على كلّ شيءٍ قديرٌ، وأنّه يعلم ما هو الأصلح للنّاس، وإرسال الآيات من عدمها، وإذا شاء أرسلها، وإذا شاء منعها[2]، ثم ذكر أنّ أمر إنزال الآيات لا يتعلّق بي، فما أنا إلا نذير، وما الآيات إلا أفعال لله تعالى[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾:

استئناف لوصف حال الجاحدين الّذين لا يؤمنون

(الواو) في قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾ استئنافيّة؛ وما بعدها جملة لا علاقة لها بما قبلها معنًى وإعرابًا، فالكافرون من أهل الكتاب ومن أهل مكّة طالبوا الرّسول ﷺ بالآيات المادّيّة مثلما أوتي الأنبياء من قبله ﷺ كعصا موسى، وفَلْقِ البحر له، أو تلك الآيات المقترَحة من عند أنفسهم كقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ [هود: 12]، في حين أنّ الآيات البيّنات الّتي نزلتْ على قلب المصطفى ﷺ عظيمةٌ غاية العظمة، والقرآن أعظم شأنًا من جميع المعجزات المادّيّة؛ لأنّها معجزة عقليّة جاءت للنّاس كافّة، وهي خالدة خلود الدّهر، وهي مستقرّة في صدور الّذين أوتوا العلم، لكنّ الذين لا يؤمنون بها يجحدون بتلك الآيات البيّنات.

(1) ابن الأثير، النّهاية، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (نذر).
(2) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 3/ 423.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 65.

دلالة إيثار لفظ القول جمعًا:

الإصـــرار على المطالبة بإنزال الآيـــات دليـلُ إنـكـارٍ جماعيٍّ أعمى

صَدَّر النّظم الحكيم الآية بالفعل ﴿وَقَالُواْ﴾ لشمول مادّة القول كلَّ أنواع التّعبير اللّفظي، سواءٌ ما كان منها مباشِرًا أو غير مباشِرٍ، ومن وجوه التّعبير اللّفظي المباشر التّصريح والمجاهرة ههنا بالمعارضة والجحود عن إصرارٍ وتعمُّدٍ بطلبِ آياتٍ مَرْئيّة، وهو دليلُ امتلاء قلوب جميع الكفّار بالإنكار، والرّغبة في سوق حُجَجِهم كأنَّها أمرٌ صحيحٌ تقبلُه العقول السّليمة.

عود الضّمير في: ﴿وَقَالُواْ﴾:

المـعـنـيّـون هم كُـفّار أهـل مكّة وبعـض اليهود الّـذيـن كـانـوا يُعَلِّمون قريشًا حُجَجَهُم

الضَّمير في ﴿وَقَالُواْ﴾ يعود على أهل مكّة من الّذين شهدوا التّنزيل، ولكنّهم جحدوا بآيات الله، وهم الّذين طالبوا بالآيات من الله تصديقًا لنبيّه؛ إذْ أرادوا الآياتِ الماديّةَ المقترَحةَ من عند أنفسِهم، كما يعود على بعض اليهود؛ لأنّ هؤلاء هم الّذين كانوا يُعَلِّمون قريشًا مثلَ هذه الحُجَج بقولهم: لِمَ لا يأتيكم بمثل ما جاء به موسى من العصا وغيرها[1].

معنى ﴿لَوْلَآ﴾:

تـحـضـيـضٌ من الـكـفـرة على الإتـيـان بـآيات مـعـجـزات، مع تناسيهم الآيات المنزَّلات المقنعات

﴿لَوْلَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ حرف تحضيض، بمعنى لو كان قد أُنزِل عليه آيات من ربه لصدّقناه وآمنّا به، أرادوا بذلك المعجزات الحسيّة، وهم بذلك القول كافرون كاذبون؛ لأنّ الآياتِ الّتي أُنزِلَت عليه ﷺ كفيلةٌ بإقناع النّاس أنّ محمّدًا ﷺ هو رسول الله.

نكتة بناء ﴿أُنزِلَ﴾ للمفعول:

تـعـظـيـم شـأن المُـنـزِّل للكتاب سبحانه

بناء الفعل ﴿أُنزِلَ﴾ لما لم يُسمّ فاعلُه في قوله: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ دلّ على عظيم شأن المُنزِّل وهو الله تعالى، إذ هو معروف من غير تصريح باسمه تعالى، فأفاد معرفة الجهة التي

(1) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 322.

تتنزّل منها الآيات؛ وهو الله سبحانه وتعالى، فهو معروفٌ لديهم، ممّا عرفوه من نبأ أهل الكتاب الّذين يعيشون بينهم.

نكتة تعدية فعل الإنزال بـ(على):

عُدّيَ فعلُ الإنزال في قوله: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ﴾ بـ(على) الدّالة هُنا على الاستعلاء المجازي؛ لأنّ الإنزال يكون من الأعلى، من جهة السّماء، وقصدوا من ذلك الإنزال المُعجزات الحسّيّة، وذلك كما قال تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾ [المائدة: 112].

تنزل المُعجزات الماديّة من السماء

عود الضّمير في ﴿عَلَيۡهِ﴾:

الضّمير (الهاء) في قوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ﴾؛ أي على الرّسول ﷺ؛ فهو محور القضيّة كلّها، لأنه هو الّذي أتى بالرّسالة من عند الله، ودعاهم إلى التّوحيد وتَرْكِ الشِّرك والْتِزامِ أوامِرِ الله تعالى.

الرّسول هو محور قضيّة الرّسالة والآيات

غرض تقديم شبه الجملة: ﴿عَلَيۡهِ﴾:

قدّم النّظم الحكيم شبه الجملة: ﴿عَلَيۡهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾؛ لغرض التّخصيص، فهم يريدون أنْ تجري على يديه الآيات المُقتَرَحَة المحسوسة، كما فعل موسى في إلقاء العصا، إذْ صارت حيّةً تسعى، ذلك أنّ مآلَ طلبِهم ليس للتّحقّق، بل لبيان عدم صدق الرّسول - حاشاه - بحسب زعمهم، ولاتّخاذ ذلك سبيلًا إلى إنكار رسالته.

تخصيص لطلبهم جريان الآيات على يد الرّسول

نكتة جمع ﴿ءَايَٰتٞ﴾ وتنكيرها:

جمع الآيات في قوله: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾ لفائدة طلبهم؛ مثلَ آيات الأنبياء التي علموا بها كناقةِ صالحٍ وعَصا موسى ومائدةُ عيسى عليهم السلام[1]، أمّا عن نكتة تنكيرها فهي لإرادة عموم

مرادُهم آياتٌ من أيّ نوع لكنّ المهمّ أن تكون ماديّة محسوسة

(1) الزَّمَخْشَرِيّ، الكشّاف: 3/ 463.

الآيات، فأيّ آية ماديّة تشبه ما أنزل على الأنبياء من قبل ستكون مقبولة لديهم.

نكتة العدول عن ذكر القرآن إلى ﴿ءَايَـٰتٌ﴾:

مطلبهم شمول جميع آيات الرّسل ومنها القرآن الكريم

في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ جاء الحديث شاملًا لجميع ما يخطر على البال من آيات الأنبياء ومنها القرآن الكريم، ولكنَّ الله يُنزِّلها حسبَما يشاءُ من غيرِ دخلٍ لأحدٍ في ذلكَ قطعًا[1]، ولا سيّما منها المحسوسةُ المشاهَدَةُ، وكذلك الآيات الّتي تظهر فيها الخوارقُ والمعجزات، وليس للنّذير المُبين أنْ يتخيّر من الآيات إلّا ما أُعطي له؛ فلا يُقْبَل أنْ يقول: أنْزِلْ عليَّ آية كذا دون آية كذا، مع علمي أنّ الغرض من الآية ثبوت الدَّلالة، والآيات كلُّها في حكم آية واحدة في ذلك[2].

توجيه القراءات القرآنيّة في ﴿ءَايَـٰتٌ﴾:

تنوّعَتِ القراءاتُ بين الْجمع والإفراد في كلمة ﴿ءَايَـٰتٌ﴾ من قَوْله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ فقَرَأ نافِع وأبو عَمْرو وابْن عامر وحَفْص عَن عاصِم وأبو جعفر ويعقوب: ﴿ءَايَـٰتٌ﴾ بالجمع وحجّتهم أنّها جاءَت في الجواب في ما بعْدها جمعًا أيضًا، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وحجّتهم الأُخرى أنَّها مَكْتوبَةٌ في المَصاحِف بِالتّاءِ، أي المفتوحة، أما باقي القرّاء فقد قرؤوها ﴿ءَايَةٌ﴾ بالإفراد بدلًا من ﴿ءَايَـٰتٌ﴾ بالجمع[3]، ويستندون في حُجّتِهم هذه إلى ورودها في المصحف عشرات المرّات مفردة، ومنها قَولُه تعالى: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝﴾ [الأنبياء: 5]؛ وقوله: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ [الأنعام: 37][4]،

تنوّعَتْ مطالبُ المعارضين بين الآية والآيات

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 43.
(2) الزَّمَخْشَرِيّ، الكشّاف: 3/ 463.
(3) ابن الجزري، النشر: 2/ 343.
(4) ابن مجاهد، السّبعة في القراءات، ص: 501، وأبو زُرعة، حجّة القراءات، ص: 552.

وفي قراءة الإفراد (آية) دليلٌ على أنّ طلبَهم كان آيةً واحدة ممّا آتى الله رسلَه من قبل؛ فتكون مِثْلَها مُطابِقَةً لَها أو مشابهة لها، أمّا في قراءة الجمع ﴿ءَايَـٰتٌ﴾ فقد أرادوا الآيات الكثيرة المُنوّعة، وذلك مثل ما أوتي موسى عليه السلام عددًا من الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ﴾ [الإسراء: 101]، فلا يكتفون بآية واحدة.

الموقع النّحويّ لقوله: ﴿ءَايَـٰتٌ﴾:

الآيات البيّنات تفرض وجودها بقوّة وصدق

لفظ ﴿ءَايَـٰتٌ﴾ في قوله: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ﴾ نائب عن الفاعل، دلّ موقعها النّحوي على أنّ ما طَلَبَه المنكرون إنّما هو آياتٌ تفرضُ وجودَها وقوّتها وقدرتها على إقناع النّاس بالإيمان بأنّه رسولُ الله ﷺ.

معنى ﴿مِّن﴾ في قوله ﴿مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾:

﴿مِّن﴾ في قوله تعالى: ﴿ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾؛ لابتداء الغاية؛ فهي - بحسب زعمهم - آياتٌ عظيمة مؤثّرة مبتدؤها من الرّب الّذي يدّعي الرّسول ﷺ أُلوهيَّتَه.

غرض الإضافة في ﴿رَّبِّهِۦٓ﴾:

مدح المضاف إليه (الرّسول) وتزكيته والتّنويه على مربّيه العظيم سبحانه

في لفظ ﴿رَّبِّهِۦٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾؛ إضافة من نوع خاص، فقد جاءت بلفظ الرّبوبيّة مضافًا إلى ضميره ﷺ، وذلك لغرض مدح المضاف إليه (الرسول) وتزكيته ورفعة شأنه، ولتفويت فرصة تحجّج المشركين عليه بقولهم: ما دام الله ربُّه وهو قادر على كلّ شيءٍ، فليأتنا بآية كما أُرسِل الأوّلون.

وجاء بلفظ الرّبوبيّة؛ لأنّ الرّبّ هو المُربّي وهو الحريص على خلقه وعباده، وهو يعلم مصلحة العباد بإرسال المعجزات من عدم إرسالها؛ فإنْ كان عبدُهُ هو رسولَه فمن باب أولى أن يؤيّده بالآيات البيّنات المحسوسات.

دلالة الأمر في الفعل ﴿قُلْ﴾:

طلب الآيات لا يكون إلا بأمر الله تعالى

أمر الله تعالى نبيّه في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ حتى يعلمَ أنّ هذا الأمر بيد الله تعالى؛ ولا يَستنزِلُه الاقتراحُ، ولا التّمنّي، ولا الطلبُ، وأنّه بُعِثَ نذيرًا، ولم يُؤمر بغير ذلك، وقد خرج الأمر إلى معنى التّصريح بالتّوجيه للرّسول محاجِجًا القائلين بأنّ نزول الآية أو الآيات لا يتمّ إلّا بأمره تعالى، ومن ذلك القرآن الّذي هو أعظم الآيات ومعجز الجنّ والإنس لذا قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، ثمّ قرّر ما فيه من (الرّحمة والذّكرى) للمؤمنين، فقولُه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾، جوابٌ لمن قال: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ﴾[1].

بلاغة القصر في ﴿إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾:

تنزيلُ الآيات بحكمته، وتقديرُها بمشيئته

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: يُنَزِّلها حسبما يشاء من غير دخل لأحد في ذلك قطعًا؛ وأنّ لكلِّ آية حكمةً، وأنّ الله تعالى يعلم كلّ قوم وما يناسبهم من الآيات ليؤمنوا؛ فتكون الآيات خيرًا لهم، لا نقمةً عليهم؛ وليس من شأن الرّسول ﷺ إلّا الإنذار بما أوتي من الآيات لا الإتيان بما اقترحتموه فالقَصْرُ قَصْرُ قَلْبٍ[2].

معنى العنديّة والإضافة في ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾:

المعجزات دلائل مشيئته وقدرته، وهي منه وعنده

﴿عِندَ﴾ ظرف منصوب متعلّق بمحذوفٍ خبرٌ للآيات، و(الواو) عاطفة؛ ومعنى ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أنّها من عمل القدرة الّذي يجري على وفْقَ إرادته تعالى، فلكونها منوطةً بإرادته شُبِّهَتْ بالشَّيء المحفوظ عند مالكِهِ[3]، والعنديّة هنا مجازيّة مستعملة في تحقيق الإقرار بالتّمكين، والمشيئة، ووجه دلالة ﴿عِندَ﴾ في نحو هذا أنّها دالّةٌ على المكان فإذا أُطلقتْ في غير ما مِنْ شأنه أن يَحِلّ في مكان كانت مستعملَة في لازمِ المكان، وهو وجود ما مِنْ شأنه أن يكون في مكان،

(1) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 322.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 7.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 13.

على أنّ إضافة ﴿عِندَ﴾ لاسمه الأعظم تعالى ممّا يَزيد الأمر تحقُّقًا فضلًا عن الدَّلالة على القُدرة المُطلقة[1].

سرّ الوصل في جملة الفاصلة:

الآياتُ من عندِ اللهِ تعالى، والتبليغُ مهمّة الرّسول ﷺ

في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ تمّ عَطْفُ جملة: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ على جملة: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، وهو عطفٌ فيه ارتقاءٌ في المجادلة، بالجمع بين خبرين؛ إذ الآيات تأتيكم من عند الله، أما النُّذُر فتأتيكم من عندي بأمر الله؛ لأنّ مهمّتي هو إنذاركم، فمن شاء آمن ومن شاء كفر، وسرُّ الوصل بين الجملتين هو التّوسّط بين الكمالين؛ كمال الانقطاع وكمال الاتّصال؛ إذ إنّ بين هاتين الجملتين اتّصالًا واتّفاقًا يتمثّل في كونهما خبريّتين، وفي وجود الجهة الجامعة الّتي تبرّر عطف الثّانية على الأولى وهي علاقة التّضادّ، وأنّ بينهما اختلافًا من حيث المعنى المدلول عليه بكلّ منهما.

بلاغة القصر في جملة الفاصلة:

ليس على الرّسول إلّا البلاغ والإنذار

أفادَتْ ﴿وَإِنَّمَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ قَصْرَ النَّبيِّ ﷺ عَلَى صِفَةِ النِّذارَةِ، أي الرِّسالَةِ لا يَتَجاوَزُها إلَى خَلْقِ الآياتِ أوِ اقْتِراحِها على رَبِّهِ، فهوَ قَصْرُ إفْرادٍ رَدًّا عَلَى زَعْمِهِمْ أنَّ مِنْ حَقِّ المَوْصوفِ بِالرِّسالَةِ أنْ يَأْتيَ بِالْخَوارِقِ المُشاهَدَةِ، والمَعْنَى: أنَّهُ لا يُسَلَّمُ أنَّ التَّبْليغَ يَحْتاجُ إلى الإتْيانِ بِالْخوارِقِ على حَسَبِ رَغْبَةِ النّاسِ واقْتِراحِهِمْ حَتَّى يَكونوا مَعْذورينَ في عَدَمِ تَصْديقِ الرَّسولِ إذا لَمْ يَأْتِهِمْ بِآيَةٍ حَسَبَ اقْتِراحِهِمْ، وخُصَّ بِالذِّكْرِ مِنْ أحْوالِ الرِّسالَةِ وصْفُ النَّذيرِ تَعْريضًا بِالْمُشْرِكينَ بِأنَّ حالَهُمْ يَقْتَضي الإنْذارَ وهوَ تَوَقُّعُ الشَّرِّ[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 540.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 13.

توجيه تكرار (إنّما):

تكرارٌ في أُسلوبِ القَصْر أفاد توكيد المعنى العامّ السّياقيّ

تكرّرت لفظة (إنَّما) مرّتين في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، وأفاد هذا التّكرار في أسلوب القَصْر توكيدَ المعنى العامّ في السّياق، وهو أنّ الآيات لا تَتَنَزَّلُ بإرادة النَّبيّ ﷺ؛ وإنّما هي فعلٌ لله تعالى يفعله متى شاء؛ فإن شاء أنزل آية وإن شاء لم ينزلها.

نكتة تنكير ﴿نَذِيرٌ﴾:

تعظيم شأن الإنذار والدّعوة إلى الإيمان

تنكير ﴿نَذِيرٌ﴾ في قوله: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ لنكتة التّعظيم لشأن الرّسول ﷺ ومن سار على نهج الرّسول في إنذار النّاس، ودعوتهم إلى الإيمان.

سرّ التّخصيص بوصف النّذير:

التّعريض بالمشركين لإنكارهم النّذارة

خُصَّ وصْفُ النّذير بالذّكْرِ من أحوال الرّسالة تعريضًا بالمشركين؛ بأنّ حالهم يقتضي الإنذار وهو التّخويف وتوقُّع الشّرّ[1]، ثمّ إنّهم يُنكرون على الرّسول إنذارَه لهم، ممّا اقتضى التّعريض بهم، وبما يقترحون من أفكارٍ خاطئة لا يسعى إليها إلا ظالمٌ معاند.

توجيه الفرق بين ﴿نَذِيرٌ﴾ و﴿مُنذِرٌ﴾:

المنذر والنّذير يدلّان على التّحذير

لفظُ ﴿مُنذِرٌ﴾ [الرّعد: 7] اسمُ فاعلٍ من الفعل الرّباعي (أنذر) ويدلّ على التَّحذير؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [الرّعد: 7]، والخطاب للرّسول ﷺ لبيان مَهَمَّتِهِ أنّه يُنذِر ويُنبّه ويُحذّر، أمّا كلمة (النّذير) وإن كانت تأتي مصدرًا من الفعل (أنذر) إلا أنّها هنا بنفس الصيغة تُعَدُّ مبالغةَ اسمِ فاعل أو صفةً مشبّهةً باسم الفاعل، وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ هذا اللّفظ يفيد معنى الدَّلالة أو الإشارة على وقوع مكروه أو شرّ، فاحتاج الأمر إلى نذير ليدفع ذلك الشَّرَّ، قال تعالى: ﴿إِنَّآ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 14.

أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ [البقرة: 119]؛ فيكون المُنذِر قائمًا بفعل الإنذار، أمّا النَّذير فوجودُه دلالةٌ وعلامةٌ.

فائدة التّعبير بـ﴿مُّبِينٞ﴾ مادّةً وصيغةً:

تجانسٌ لفظيٌّ بين الآيات البيّنات والنّذير المبين

المبين: الموضِّح للإنذار بالدّلائل العقليّة الدّالة على صدق ما يُخْبَر به[1]، و﴿مُّبِينٞ﴾ ههنا نعت لنذير، والبَيِّنَة: الدّلالة الواضحة عقليةً كانت أو محسوسةً، والبَيان: الكشف عن الشَّيء، وسُمّي الكلام بيانًا لكشفه عن المعنى المقصود إظهارُه[2]، وصوغُه على هيئة اسم الفاعل فيه دلالة الثُّبوت والدَّوام والاستمرار في معنى بيان الدّين؛ فهذه الصّفة ثابتةٌ فيه، متجدّدة مستمرّة حتى بعد وفاته ﷺ في سُنّته: أقوالًا، وأفعالًا، وتقريراتٍ.

توجيه المُتشابه اللّفظي مع آية الأنعام:

قال تعالى هنا: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾، وقال تعالى في الأنعام: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٧﴾ [الأنعام: 37]، والجمع قراءة نافع وأبي عمرو وحفص ولم يُخْتَلَفْ في إفراد لفظ آية في الأنعام، والمقصود واحد.

ووجه ذلك والله أعلم أنَّ (لولا) في الآيتين تحضيض؛ وإنّما يجري في كلامهم عندما يراه المتكلِّم به أولى، أو أهمَّ في مقصودٍ ما، أو أتمَّ في مطلب ما، إلى أشباه هذا ممّا يستدعي التّحضيض، ولمّا تقدّم قبل آية الأنعام ذِكْرُ دلائلَ من خَلْقِ السّماوات والأرض وجَعْلِ الظّلمات والنّور بحال مَنْ كذَّبَ وعاند؛ إلى ما تبع ذلك من الآيات الّتي يحتاج فيها إلى النّظر وإعمال الفكر والاعتبار، وكان مَظِنّةً لتغبيط الجاحد، فطلبوا آيةً تُبهر، ولا يحتاج معها إلى كبير

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 14.
(2) الراغب، المفردات: (بين).

نظر؛ كناقة صالح ﷺ، أو شبه ذلك، فافتَتَحوا فيما ذكره سبحانه عنهم بأداة (لولا) التّحضيضية؛ حرصًا على ما طلبوه، وأتَوا بالفعل مضعّفًا لِما أرادوه من التّأكيد؛ فقالوا: ﴿نُزِّلَ﴾ [الأنعام: 37]، وأفردوا كلمة ﴿ءَايَةٌ﴾ [الأنعام: 37]؛ لِما قصدوه من أنّه ﷺ جاءهم بآية واحدة من الضّرب الّذي طلبوه، وهذا مناسب، وقد صرّحوا بما طلبوه من هذا الضّرب بالّذي ذكرنا في قولهم: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا ۝٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ۝٩١﴾ [الاسراء: 90 - 91]، وفى قولهم: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ [الفرقان: 21] إلى ما أشبه هذا فقال تعالى: قل لهم يا محمّد: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٣٧﴾ [الأنعام: 37]؛ أي لا يعلمون ما كان يَعْقُبهم ذلك لو وقع على وفْقِ اقتراحهم من تعجيل أخذِهم وهلاكِهم كما جرى لغيرهم من الأمم كقوم صالح ﷺ وغيرهم.

أما آية العنكبوت فقد تقدم قبلها قولُه تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾، وتأخّر بعدها قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فلم يكن لِيناسب بعد اكتناف هذه الجموع إفراد آية، ثمّ إنّ هذه الآية لم يتقدّمها من التّهديد وشديد الوعيد ما تقدّم آية الأنعام؛ فناسب ذلك ورود الفعل غير مضعَّفٍ، وجاء ذلك كلُّه على ما يجب، ولم يكن عكس الوارد لِيناسب[1].

(1) الغِرناطيّ، مِلاك التّأويل، ص: 159.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»